

دلائل الإعجاز

□ تعالى فـقـيـل : الجنَّ وإِذا كان التقديرُ في " شركاءَ " أنَّهُ مفعولٌ أوَّلٌ و " □ " في موضعِ المفعولِ الثاني وقَعَ الإِـنـكارُ على كونِ شركاءِ □ تعالى على الإطلاق من غيرِ اختصاصِ شيءٍ دونَ شيءٍ وحصلَ من ذلك أن اتخاذَ الشَّـرِـيـكِ من غَـيـرِ الجنِّ قد دَخَلَ في الإِـنـكارِ دخولَ اتِّخاذه من الجنِّ لأنَّ الصِّفَةَ إِذا ذُكِرَتْ مجرَّدةً غيرَ مُجْـرَأةٍ على شيءٍ كانَ الذي تَعَلَّقَ بها من النِّفَةِ عامًّا في كلِّ ما يجوزُ أن تكونَ له تلك الصِّفَةُ .

فإِذا قلتَ : ما في الدارِ كريمٌ كنتَ نفيتَ الكينونةَ في الدارِ عن كلِّ من يكون الكرمُ صفةً له . وحكمُ الإِـنـكارِ أبداً حكمُ النفي . وإِذا أُخِّـرَ فـقـيـلٌ : وجعلوا الجنَّ شركاءَ □ كان " الجنَّ " مفعولاً أوَّلَ و " الشركاءَ " مفعولاً ثانياً . وإِذا كان كذلك كان " الشركاءَ " مخصوصاً غيرَ مطلقٍ من حيثُ كانَ مُحالاً أن يجريَ خبراً على الجنِّ ثم يكونَ عاماً فيهم وفي غيرهم وإِذا كان كذلك احتملَ أن يكونَ القصدُ بالإِـنـكارِ إـلـى الجنِّ خصوصاً أن يكونوا شركاءَ دونَ غيرهم جَلَّ □ وتعالى عن أن يكونَ له شريكٌ وشبيهٌ بحالٍ .

فانظُرِ الآنَ إـلـى شَرَفٍ ما حصلَ من المعنى بأن قدِّمَ الشركاءُ واعتبرهُ فَإِنَّهُ يُنْبِـهُ هَكَـذَا لكثيرٍ منَ الأمورِ ويدلُّكَ على عِظَمِ شَأْنِ النظمِ وتَعَلُّمُ به كيف يكونُ الإِـجـازُ به وما صورَتُهُ وكيف يُزادُ في المعنى من غيرِ أن يُزادَ في اللفظِ إِذ قد ترى أنْ ليسَ إِلاَّ تـفـدـيـمٌ وتأخيرٌ وأنه قد حصلَ لك بذلك من زيادةِ المعنى ما إِنِّ حاولتَ مع تَرَوُّكِه لم يحصلْ لك واحتجَّتْ إـلـى أن تستأْنِفَ له كلاماً نحوَ أن تقولَ : وجعلوا الجنَّ شركاءَ □ وما ينبغي أن يكونَ □ شريكٌ لا مِنَ الجنِّ ولا مِنَ غيرِهِم . ثم لا يكونُ له إِذا عُقِلَ من كلامين من الشَّرَفِ والفخامةِ ومن كرمِ الموقعِ في النفسِ ما تجِدُهُ له الآنَ وقد عُقِلَ من هذا الكلامِ الواحدِ .

ومما يَـنـظُرُ إـلـى مثـلِ ذلكَ قولُهُ تعالى : (وَلَـتَـجـدَنَّـهـُـم أَـحـدَـرَـصَ النِّـسَـاسِ عَـلَـى حَـيَـاةٍ) . إِذا أنتَ راجعتَ نفسَكَ وأذكيَّتَ حِسِّكَ وجدتَ لهذا التنكيرِ وأنَّ قـيـلَ " على حياةٍ " ولم يَـقـلْ على الحياةِ حُسْناً وروعةً ولطفَ موقعٍ لا يُقَادَرُ قَدْرُهُ . وتجِدُكَ تَعَدَّم ذلكَ مع التعريفِ وتخرجُ عن الأريحيَّةِ والأُنْسِ إـلـى خلافِهِما . والسَّـبـبُ في ذلكَ أنَّ المعنى على الازديادِ منَ